

السياسة البريطانية في م الخليج العربي للفترة من

فارس إبراهيم الكاتب ماجستير تاريخ حديث
معهد التاريخ العربي والتراث العملي

•

يعتبر هذا البحث المتواضع تمثيل مبسط لماهية الدخول الأولي البريطاني العسكري منه والسياسي إلى منطقة الخليج العربي ولا سيما بعد أن اضمحلت أضواء النفوذ الهولندي في هذه المنطقة التجارية المهمة من العالم ، فكان لايد من ظهور قوة أجنبية أخر خلفا للهولندي المتمرس على مدى أكثر من قرن ونيف من الزمن لذا انبرى إلى الوسط السياسي كلا من الجانب الفرنسي بكامل شعاراته النابليونية وكذلك الجانب البريطاني ذو الأفق السياسي الاقتصادي الاستراتيجي المتميز يوم ذاك ليخوضا معا صراعا مريرا فيما بينهم من اجل الاستحواذ على موضع قدم في منطقة الخليج العربي بكامل خيراتة .

كان كل من الفرنسيين والبريطانيين يسعون جل ما يستطيعون للدخول إلى هذه المنطقة الحيوية وفق آليتين أولهما استخدام القوة وثانيهما ممارسة التعاطي الاقتصادي والسياسي مع حكام الخليج العربي وحكام بلاد فارس والعراق لغايات بعيدة المدى غايتها الأساس الحصول على اكبر قدر ممكن من الامتيازات السياسية والاقتصادية وهو الواقع الذي يفسر لنا جليا حالة السباق المحموم الذي اتبعه الفرنسيين والبريطانيين على حد سواء في التمهيد لدخول المياه الدافئة في منطقة الخليج العربي .

ولعل من الثوابت اللافتة للاهتمام أن من الأسباب الحقيقية التي دعت الإدارة البريطانية وحكومة الهند البريطانية على وجه التحديد إلى توسيع دائرة تواجدها في منطقة الخليج العربي هي ضرب الأسطول الفرنسي للسفن ومقر الشركة البريطانية في منطقة ميناء بندر عباس الإيراني الأمر الذي جعل الإدارة البريطانية تنقل دائرة مركزها التجاري إلى البصرة والكويت وغير منطقة في الخليج العربي لأجل فتح مقرات ومقيمات سياسية أسهمت بشكل فعال في ترسيخ التوسع البريطاني في المنطقة كما سنرى ذلك في حيثيات هذا البحث الذي نتعرف فيه من خلال ثلاثة مباحث إلى أهم مفاصل التوسع البريطاني في الخليج العربي .

حيث أكدنا في معرض مبحثنا الأول على البدايات الأولى للدخول البريطاني في الخليج العربي وكيفية مجابهته للأسطول الفرنسي وخوضه صراعا مريرا من اجل ترسيخ تواجده العسكري بالقوة. فيما اشرنا في المبحث الثاني إلى طبيعة دخول الانكليز إلى بلاد فارس على وجه التحديد مستغلين بعض الظروف الاقتصادية والسياسية التي حدثت في تلك الحقبة المهمة من الزمن يوم ذاك .

في حين تناولنا في المبحث الثالث كيفية الدخول البريطاني إلى العراق وبخاصة ميناء البصرة الحيوي يوم ذاك ومن ثم التوسع والوصول التدريجي إلى العاصمة بغداد مركز الحكومة العثمانية في بلاد ما بين النهرين آنذاك.

عموما نتمنى أن ينال هذا البحث الذي بين أيديكم الرضا والقبول فأن أخطأنا فحسبنا نصيب المجتهد والله الموفق من قبل ومن بعد .

الفصل الأول ية البريطانية في الخليج العربي

تأسيس مقيمة بغداد :

اقتصرت التمثيل البريطاني في العراق قبل ١٧٩٨ على البصرة ، حيث كان على المقيم القيام بمهمتين رئيسيتين : تنظيم جزء من خط البريد البري إلى انكلترا ، ومحاولة اعتراض الرسائل الرسمية للأعداء وإلقاء القبض على وكلائهم ، ولكن على اثر معرفة التحشيدات الفرنسية في طولون ، واعتقاد وزير الحرب دونداس ومستشاره الأول وليم ايتون ، w eton ، بان تلك التحشيدات سترسل لمهاجمة الهند البريطانية وإنما قد تسلك الطريق عبر البر ، مختربة سوريا وبين النهرين ، فقد تقرر تأسيس مقيمه في بغداد لتكون (مركزا لجمع المعلومات والاتصالات بين لندن والهند) .
وقع الاختيار على هارد فورد جونز H.jones للقيام بهذه المهمة ، لأنه المرشح الأكثر خبرة لتنفيذها .

وصدرت التعليمات إليه في الخامس من تموز ، فكان عليه أن يجمع المعلومات من أي صفة يعتقد أنها قد تكون ذات فائدة ، سواء لشركة الهند الشرقية أو لبريطانيا العظمى بصورة عامة وان يبقى على اتصال منتظم مع حكومة بومباي واللجنة السرية (لنقل الأخبار بين الهند وانكلترا ومراقبة نشاط الوكلاء الفرنسيين والإبلاغ عنها ... وان يعمل على التأثير في الباشا وتحريضه ضد المخاطر الفرنسية وتشجيعه على مقاومة المخططات الفرنسية) ، كما أمر من قبل رئيس مجلس المديرية في الشركة بان يعد تقريره مفصلا عن ولاية بغداد وسكانها قوتها العسكرية ومصادرها الاقتصادية وإمكاناتها التجارية ، وتسلم جونز رسائل من دونداس ومجلس المديرين موجه إلى والي بغداد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ - ١٨٠٢) تحذره من خطر الفرنسيين (١) .

الذين يعملون على تحريض الطبقات الدنيا من الشعب على روح عدم الرضا والتمرد نحو حكوماتهم والقائمة ويهاجمون العدالة والنظام والدين ، أن مبادئ الثورة الفرنسية تهدد كل الأمراء على حد سواء . ولا يمكن لشخص مثل سموك يمتلك النظرة الثاقبة وحدة الذهن والحكمة أن تفوته بان كل الحكومات الشرعية هي ذات مصلحة مشتركة للحيلولة دون امتداد مبادئ تضرب جذور وجودها أن خلاصنا هو في اتحادنا لمواجهة هذا التخريب .

وصل جونز بغداد في ٢١ ايلول ١٧٩٨ ولقي استقبالا حسنا وترحيبا من سليمان باشا وقدم له الرسائل الموجه إليه من قبل دونداس ومجلس المديرية إلى جانب هدية ثمينة كما قام بتوزيع هدايا أخرى لكبار المسؤولين (٢) .

وقد جاء في أول تقاريره إلى وزير الحرب أن الباشا قد تعهد له باعتراف أي زحف قد يقوم به الفرنسيون باتجاه الخليج العربي وانه مستعد للتعاون في كل ما من شأنه وقف تخريباتهم وأكد هذه

الموقف في تقرير آخر جاء فيه أن ما يمنحني الرضا العظيم أن أؤكد بأنني وجدت في باشا بغداد استعدادا قويا لبذل كل ما في طاقته لمعارضة مخططات الفرنسيين إذا ما فكروا بالمرور إلى الهند عبر هذا الجزء من الإمبراطورية العثمانية ومن المتوقع أن يامر الباشا بحظر التجارة مع الحكومة الفرنسية ولم يمض وقت طويل حتى دلت الوالي على انحيازه للجانب البريطاني ، فأمر في ٨ تشرين الأول بحجز القنصل الفرنسي روسو وكل العاملين معه ، فيما عدا سكرتيره الذي تمكن من الفرار ، من المركز الفرنسي ، ووضعه تحت الحراسة تنفيذاً لأمر من الباب العالي ((وتم تفتيش الأوراق العامة والشخصية للقنصلية)) (٣) .

وقد التمس من الباشا الاطلاع على الأولى ، فوافق على طلبي في الحال . وفي ١٣ من الشهر نفسه اختفى الباشا بعد أن قدم له هدية عبارة عن معطف من الفراء وحصان وأثاث. وفي خلال ذلك قام جونز بدراسة الإمكانيات العسكرية لوالي بغداد التي يمكنه تحشيدتها (في حالات الضرورة القصوى) .

وأرسل تقريراً إلى دنداس ضمنه نتيجة دراسته ، ظهر منه :-

(أن الباشا يمكنه أعداد ثماني سفن صغيرة تتراوح حمولتها من ٦٠ إلى ٢٥٠ طناً ، إلى جانب قوة من ٢٢٠٠٠ رجل ، مؤلفة من القوى النظامية وأفراد العشائر من العرب والأكراد) (٤). ومع أن والي بغداد ظل يؤكد باستمرار بأنه سيقف في وجه أي زحف يقوم به الفرنسيون لاختراق بين النهرين ، إلا أن ثقة جونز بموقف الوالي سرعان ما تزعزعت ، وأصبح غير واثق من قيام باشا بغداد بدور مهم لمنع الفرنسيين من التقدم في حالة محاولتهم شق طريقهم عبر وادي الفرات . وجاءت أولى دلائل شكه في تقرير أرسله إلى دنداس ، أشار فيه إلى أن الباب العالي طلب من والي بغداد إرسال المساعدات السريعة لدعم عملية أخراج الفرنسيين من مصر . ولكن الباشا اكتفى بإرسال كمية قليلة من المال ، دون أن يرسل أي جندي) . وجاء غزو بونابرت لسوريا ، ليعزز شكوكه ، فكتب إلى وكيل الشركة في القسطنطينية يقول فيها : ((أننا هنا في هدوء تام كما لو أن الفرنسيين غزوا كندة لا سوريا ... وتفكير الحكومة هنا مستغرق في استنباط السبل للتهرب من الأوامر المتوقع صدورها من الباب العالي ، لا تنفيذها)) .

لا نرى غرابة في موقف والي بغداد من الخطر الفرنسي المحتمل على العراق . فبالنسبة إلى سليمان باشا ، كانت قمة التحالف مع بريطانيا ، تمكن في استمرار حصوله على السلاح والذخائر من الهند ، لكبح خطر هجمات الوهابيين ، التي كانت تتوالى على العراق قبيل وأثناء الحملة الفرنسية على مصر ، ولهذا فأن الخطر المباشر على العراق ، من وجهة نظر الوالي ، يتمثل في الغارات الوهابية ، لا في زحف الفرنسيين من الغرب ، مع ما سيعترضهم من مصاعب جمة ومقاومة عثمانية في جبهات سوريا . ولذلك لم يأخذ مسألة الغزو الفرنسي جدياً ، ورفض اتخاذ

الإجراءات التي كان جونز يحثه عليها. هذا إلى جانب أن سليمان باشا ، مال إلى التزام جانب بريطانيا ، كما عبر جونز نفسه :

((لرغبته في الحصول على دعم الأسطول البريطاني في الخليج أمام عمان، أكثر من رغبته في معاونة البريطانيين لصد الفرنسيين (٥) .

وقد عبر سليمان باشا في اجتماعين مطولين مع جونز عن رغبته في تدخل حاكم بومباي في النزاع مع سلطان مسقط ، ومساعدته بطرادين للشركة . ولكن جونز استطاع أن يقتنع الباشا بصرف النظر عن الحصول على المساعدة .

كما قام جونز في سبيل تقوية مركزه لدى الباشا ، بتحويل طلب الأخير المتضمن الحصول على عدد من خبراء المدفعية لتدريب قواته ، إلى حكومة بومباي . وقد استجابت الحكومة لذلك الطلب فأرسلت ثلاثة خبراء لتدريب قوات الباشا على الأساليب الأوربية ولكن جونز عبر في نفس الوقت عن شكوكه في جدية سليمان باشا للاستفادة من هذه الفرصة فكتب في تقريره إلى مجلس المديرية : (أن الباشا وعدني بتطوير سلاح لمدفعية في جيشه بمساعدة الخبراء البريطانيين ولكنني أخشى أن يتخلى عن وعده هذا على الفور ، أذا ظهر هذا الأمر سيكلفه مبلغا مهما كان صغير)، وكذا توطد مركز جونز في بغداد مع مجيء الوالي الجديد علي باشا (١٨٠٢ - ١٨٠٧) بنجاح اللورد الجين Elgin ، السفير البريطاني في العاصمة العثمانية ، في الحصول على البراءة القنصلية من السلطان العثماني المقيم في بغداد في ٢ تشرين الأول ١٨٠٢ (٦) .

حقق تأسيس مقبلة بغداد فوائدها المهمة للمصالح البريطانية في الخليج العربي فالي جانب أنها كانت مؤشرا على امتداد النفوذ البريطاني على العراق وتعزيزه بمرور الوقت فأنها خدمت تحقيق هدفين : الأول ، أنها أصبحت مركزا لجمع المعلومات المتعلقة بالتطورات التي كانت تجري في فارس وأفغانستان ، والثاني ، أنها تحولت إلى مركز مهم لنقل البريد البري بين الهند وانجلترا .

فبالنسبة للهدف الأول ، نجح جونز خلال وجوده في بغداد من جمع معلومات ذات قيمة بالغة عن أفغانستان ، وسجل تفاصيل ما ورده من أنباء عن الاتصالات التي جرت بين تيبو سلطان حاكم ميسور وزمن شاه حاكم أفغانستان والتي كانت تهدف إلى الأعداد لعملية هجوم على ممتلكات الشركة في الهند (٧) .

كما استطاع أن يجمع معلومات قيمة عن الأوضاع في فارس بصورة خاصة من خلال عمله في البصرة كمساعد للمقيم زار جونز فارس واطلع بشكل مفصل على معلومات غاية في الأهمية معظمها يتعلق بالعائلة الزندية المعزولة كما كان للصدقة التي نشأت بينه وبين مرزا بوزوك كبير مستشاري ولي العهد عباس مرزا دور كبير في حصوله على معلومات مهمة عن التطورات السياسية في فارس خلال فترة تعينه في بغداد ، شبكة المراسلات بين الهند وانجلترا وكما مر بنا سابقا كان

البريد ينطلق من البصرة إلى حلب ومنها إلى القسطنطينية ولكن جونز اقترح استبدال حلب ببغداد مؤكدا على أفضلية الطريق عبر بغداد لنقل البريد بين البصرة والقسطنطينية وقد اسند على مبادرة بيتر توك وكيل الشركة في العاصمة العثمانية الذي قام في ٨ مايس ١٧٩٩ بإرسال الرسائل الموجهة إلى الهند عبر بغداد وكتب إلى جونز (أن الضرورة القصوى تدفعني إلى هذه الخطوة فالطريق عبر حلب لن تكون عملية مع تقدم الجيش التركي في سوريا وأني بدون تردد سأختار طريق بغداد لإرسال الرسائل التي تصلني من مركز الشركة في لندن) (٨) .

وفي سبيل إثبات مزايا اقتراحه بادر جونز إلى عقد اتفاق مع سليمان باشا قيم بموجبه مغادرة احد رجال الوالي من التتر من القسطنطينية متوجها الى بغداد في اليوم التالي لوصول البريد الى العاصمة العثمانية (وبهذه الوسيلة سيكون في مقدوري أن ابقى حكومة بومباي والمقيم في البصرة على اطلاع مبكر بأخر التطورات السياسية في أوربا وبأقل التكاليف بالنسبة للشركة) ولم يكتفي جونز بهذا الترتيب فقدم مذكره إلى رئيس مجلس المديرين في الشركة اقترح فيها احتفاظ المقيم في بغداد بأربعة من الفرسان التتر مخصصين بنقل بريد الشركة وان تعمل الحكومة البريطانية على الحصول على أمر إمبراطوري من السلطان العثماني يوجب على الوالي تزويد أولئك التتر في مراكز البريد العثماني بالخيول والاحتياجات الأخرى خلال عملية انتقالهم من والي القسطنطينية على أن يقيم الفارس التتري في مقر وكيل الشركة في العاصمة وفي بيت المقيم حينما يكون في بغداد من اجل أحكام السيطرة على سرعة نقل البريد ومنع حمل التتري مواد لا تخص الشركة على أن يدفع لهؤلاء التتر الأربعة راتبا سنويا هو ألف قرش (أن هذا الترتيب سيعمل على تنظيم سرعة عملية نقل الرسائل الرسمية بين الهند وبريطانيا وفي ظني أن الباب العالي لن يتردد في الموافقة على هذا الطلب)(٩).

وقد تبنت الشركة اقتراح جونز وقررت تجربته ولهذا أصدرت حكومة بومباي امرا بان يتم إرسال البريد الرسمي من الهند إلى انكلترا شهريا بنسختين : الرسائل الأصلية عن طريق بغداد ، ونسخها عن طريق حلب . وصدرت الأوامر إلى جونز بالاحتفاظ بنسخة مسجلة منفصلة عن رزم الرسائل شهريا يدون عليها تاريخ إرسالها ووصولها إلى بغداد والقسطنطينية وفي حالة فقدان إحدى الرزم في الطرق عبر الصحراء بسبب حادث ما فأن عليه تقديم قائمة بكل محتوياتها وأوصاف كل رسالة مرسلة من الهند للتأكد من أي رسالة مفقودة ، وقد ساد هذا الترتيب طيلة فترة بقاء جونز في بغداد ولدى المقارنة ظهر أن خط بغداد أفضل من ناحية الأمن لقد تركزت المصالح البريطانية في العراق في العقد الأول من التاسع عشر مهمة مقيمي بغداد والبصرة في نقل البريد من جهة والمقتضيات السياسية الناشئة في ظروف الحرب مع فرنسا من جهة أخرى(١٠) .

الفصل الثاني

البعثات البريطانية إلى الخليج العربي

بعثة مرزا مهدي علي خان الى مسقط وفارس :-

مرّ بنا في الفصل السابق أن عمان التزمت بموقف محايد بالنسبة إلى الصراع الفرنسي - البريطاني في الخليج والمحيط الهندي وان السلطات البريطانية في الهند كانت ترحب بالتزام سلطان عمان بعلاقات ودية نحوها ولكن التهديد الذي مثله الوجود الفرنسي في مصر على سلامة الهند أضفى على مسألة كسب عمان ذات الموقع الإستراتيجي الخطير أهمية ملحة واقتنع وزلي بان أول ما يجب عمله الحصول على مفتاح باب الخليج العربي أو في الأقل لحيلولة دون وقوعه في يد العدو(١١) .

وما كان بادئا فعلا هو قوة النفوذ الفرنسي بشكل يندر بالخطر فالارتباط التجاري مع أيل دي فرانس كان قويا كما كانت سفن البريطانية ظاهرة بشكل نشط وساد الاعتقاد في الأوساط البريطانية بان سلطان بن احمد الذي يستخدم طبيبا فرنسيا خاصا يميل بوضوح إلى المصالح الفرنسية . لكل هذا قرر الحاكم العام العمل بحزم وعلى الفور وفي ١٣ أيلول ١٧٩٨ اصدر دن كان حاكم بومباي بناء على أوامر وزلي تعليماته إلى مرزا مهدي علي خان المقيم الجديد في البوشهر بان يتوقف في مسقط وهو في طريقه إلى فارس لتسلم منصبه وأجراء مفاوضات مع الشاه وان يعقد محادثات مع سلطان بن احمد بالتوصل إلى تحديد موقفه من قضية الصراع الدائر وان يحاول الحصول على تعهده على أبعاد الفرنسيين وحلفائهم الهولنديين من ممتلكاته وإقناعه بالسماح بتأسيس مركز للشركة في مسقط وقبول جراح بريطاني بدلا من طبيبه الفرنسي . ومع التعليمات تقرر إرسال الهدايا إلى سلطان بن احمد وبابا علي شاه فارس للأول بقيمة ١,٢٥٠ روبية وللثاني وحكومته بقيمة ١٣,٥٠٠ روبية (١٢) .

وصل مهدي علي خان على ظهر سفينة (بانثر) الى مسقط غي الأسبوع الأول من تشرين الأول ولدى استقبال سلطان بن احمد للمبعوث البريطاني قدم الأخير إليه الهدايا ورسالة حاكم بومباي وقد تضمنت الرسالة تحذيرا مبطنا لحاكم مسقط من استمرار علاقته بالفرنسيين مما يتناقض مع حالة العلاقات الحميمة القائمة بيننا ولا يتفق مع تأميننا للسلامة والحماية التي تتمتع بها سفنك في البحار على طول سواحل الهند من بومباي إلى كلكتا والرعايا التي تلقاها في موانئنا وبعد بضعة أيام من المباحثات توصل الطرفان في ١٢ تشرين الأول إلى عقد اتفاقية مكتوبة تعتبر أول اتفاق سياسي بين الحكومة البريطانية وأمير في شبه جزيرة العرب (١٣) .

وفي مجملها كانت مؤيدة لبريطانيا بشكل قاطع وبعد التصريحات الرسمية بالصدّاقة والود في مادتها الأولى تضمنت مادتها الثانية من هذا اليوم فصاعدا سيكون صديق تلك الحكومة هو صديق هذه الحكومة وصديق هذه صديق لتلك وعلى نفس الغرار فان عدو تلك الحكومة هو عدو هذه وعدو هذه هو عدو لتلك وفي مادتها الثالثة تعهد سلطان بعدم السماح للفرنسيين والهولنديين بتأسيس مركز لهم في بلاده بل (أنهم لن يحصلوا حتى على موطأ قدم يقفون عليه في هذه الدولة) . (١٤)

وهذا الخطر أوضحتها المادة الخامسة ولكنه لايشمل السفن الفرنسية التي تتزود بالمياه من مسقط وأكثر من ذلك كان على سلطان عمان أن يشارك البريطانيين بأي اشتباك بحري مع الفرنسيين في مياه مسقط ولو انه غير ملزم بالإسهام في العدوان التي تقع في البحار العالية وكأجراء احتياطي يدل على بعد نظر السلطان من مسألة التنافس الفرنسي البريطاني رفض منح الشركة أذنا بتأسيس مركز تجاري بريطاني في مسقط متذعرا بان هذا الأمر سيؤدي إلى إثارة عداة فرنسا المباشرة مما سيعرض سفن وتجارة مسقط للخطر ولكن إذا ما أبدت الشركة استعدادها لضمان الدفاع عن مصالح مسقط ضد الخطر الفرنسي فإنه سيسمح لها بفتح مثل ذلك المركز في بلاده ولكنه من الناحية الأخرى وافق في المادة السابعة من الاتفاقية على السماح للشركة بإعادة تأسيس مركزها السابق في بندر عباس (١٥) .

أن رفع الخطر التقليدي لحكومة عمان على أنشاء المراكز الأوربية بل وأكثر من ذلك مايتعلق بإقامة تحصينات عسكرية أمر ملفت للنظر بدرجة كبيرة بالإضافة إلى الامتيازات الأخرى التي منحت للبريطانيين مما يجعل ابرز خاصية في الوثيقة أنها أحادية الجانب ويعلق سكيت على هذه الحقيقة بقوله (لقد أعطت المعاهدة لبريطانيا كل شيء وعمليا لن تقدم شيئا للسلطان) في موضع آخر يقول (لقد كانت المعاهدة مؤيدة للبريطانيين إلى حد يورث المرء الارتباك لدى قارئتها) وكتب دن كان إلى ولزلي في تشرين الثاني ١٧٩٨ يقول (أن مهدي علي خان قد حصل بهذا الاتفاق على أكثر مما كنا نامله) (١٦) .

ومع أن الممثل البريطاني بناء على طلب من السلطان وعده بمحاولة الحصول على موافقة حكومة بومباي بتزويد السفن العمانية الخشب والماء بدون رسم في بومباي وكلكتا وبالأسلوب ذاته الذي تزود فيه سفن الشركة في مسقط وكذلك رفع كمية الملح المسموح للسفن العمانية بحملها من كلكتا من ١١,٠٠٠ متر إلى ١٥,٠٠٠ متر فانه حتى هذا الوعد البسيط والمهم لمسقط لم يثبت في المعاهدة بل أن السلطان لم يكتفي بتلك التنازلات التي تضمنتها المعاهدة فكتب رسالة إلى حاكم بومباي أنكر فيها تردد سفنه إلى مورشيوس وذكر له فيها انه أرسل إحدى سفنه في السنة الماضية إلى تلك الجزيرة للطلب من الفرنسيين الكف عن التحرش بالسفن العمانية وتحديد موقفهم جهارا

وختمها بتعهده بالالتزام بالاتفاق الذي تم بينه وبين مهدي علي خان (١٧).
ولكل هذا بادر دن كان حاكم بومباي إلى الكتابة لسلطان عمان مشيراً أن المعاهدة تعتبر نافذة من تاريخ التوقيع عليها .

ما السبب الذي حدا بالسلطان إلى الميل بحدة إلى الجانب البريطاني ؟ مع أن وسيط الشركة في مسقط أكد للكابتن جون مالكولم في كانون الاول ١٧٩٩ (بأنه قبل أكثر من اثني عشر شهرا كان مركز الفرنسيين أعلى بكثير في نظر الأمام ... وان الفرنسيين كانوا يبدون له مزيدا من الانتباه ويرسلون له الهدايا مثل المدافع وغيرها) يمكن أن يرجع موقفه إلى عاملين : الأول ، التفوق البحري الذي حققته بريطانيا على فرنسا والذي توج بتدمير الأسطول الفرنسي في أبو قير ولم تكن أهمية مثل ذلك التفوق لتفوت على سلطان بن احمد (وهو من نسل شعب بحري عريق) . والثاني ، الأهمية الاقتصادية القصوى التي كانت تمثلها الهند بالنسبة للتجارة العمانية فقد تمتعت عمان بازدهار تجاري كبير وكانت معظم تجارتها مع الهند بل أن أكثر من نصف الواردات الهندية للبصرة وبوشهر والبحرين كانت تأتي عبر مسقط وفي العقد الأخير من القرن الثامن عشر كانت حصة تجارة الخليج ويؤكد ملبون أن مسقط أصبحت في هذه الحقبه (المركز الرئيسي للبضائع المتبادلة بين الهند وفارس والعراق والجزيرة العربية) لكل هذا لم يكن سلطان عمان مستعدا للتضحية بازدهار بلاده الاقتصادي حينما أصبح عليه الاختيار بين الجانبين المتصارعين فأنحاز إلى جانب بريطانيا(١٨).
كانت فارس المجال المهم الثاني في نظر بريطانيا لإحباط المخططات الفرنسية . وفي رسالة من مرزا مهدي إلى حاكم بومباي ، أشار إلى المخاطر الجسيمة (التي ستعرض لها المصالح البريطانية في الخليج العربي ، إذا ما أحرز الفرنسيون تفوقا في فارس) وسمح لهم بتأسيس مركز على سواحلها) .

ولهذا تضمنت التعليمات التي صدرت إلى مرزا مهدي أن يسعى إلى لقاء بابا خان - أو فتح علي شاه ، كما سيعرف بعد وقت قصير (١٧٩٧ - ١٨٣٤) ، وان يعمل على استغلال أطماعه بالتوسع شرقا إلى داخل خراسان لاستعادة الأراضي التي كانت تحت سيطرة الصفويين في الماضي ، من زعيم الأفغان زمان شاه ، عدو الشركة الذي كان يشكل خطرا مستمرا على البنجاب . وكان على المبعوث كذلك ، التأكيد للشاه والوزراء على مخاطر المخططات الفرنسية على مصالح البلدين، من اجل الحصول على تعهد الحكومة الفارسية بالوقوف إلى جانب بريطانيا في حالة حدوث تحرك عسكري فرنسي باتجاه الخليج العربي . (١٩) .

وخول المبعوث أن يعرض على الشاه مقابل وقوفه إلى جانب بريطانيا ، تزويد فارس بالأسلحة والذخائر ، وفي حالة إثارة امتعاض الروس من تقديم تلك المساعدات ، فان الحاكم العام : سيعمل

على دفع الحكومة البريطانية إلى بذل مساعيها الحميدة في سانت بطرسبرغ للعمل على تسوية النزاع الروسي - الفارسي في القوقاز . وحمل مرزا مهدي إلى جانب الهدايا الثمينة إلى الشاه رسالة من حاكم بومباي أشار فيها إلى : (العدل والسعادة اللتين عمتا فارس بحسن رعاية جلالتمك وشخصكم الذي ملأ عرش فارس بهاء) ، ويقدم له رسوله الذي (سيضحى بقاء جلالتمك لتقديم اقتراحاته ... وهو مخول بالحديث بالنيابة عنا (٢٠) .

استقبل المبعوث البريطاني بحفاوة من قبل المسؤولين الفرس خلال توجهه إلى العاصمة الفارسية، وجاء وقت وصوله في وقت مناسب تماما ، حيث كانت الشائعات تدور عن نية الشاه في توجيه حملة ضد افغانسان. وفي اللقاء الذي جرى بينه وبين فتح علي شاه ، عرض المبعوث البريطاني صورة مبالغاً فيها عن مبادئ الثورة الفرنسية (التي تهدد الأنظمة الملكية والأديان السماوية) . وقد اظهر الشاه شعوره العدائي لزمان شاه ، كما عبر عن تجاوبه مع بريطانيا ، بإعلانه بأنه سيجري حجز أي فرنسي يوجد في الساحل الفارسي من الخليج (٢١) .

حدثت تقدم بونابرت في سوريا حالة استنفار جديدة في الهند ، حيث اعتبره ولزلي تهديدا موجا إلى فارس . كما أشار حاكم بومباي في رسالة إلى اللجنة السرية ، إلى أن زحف بونابرت على رأس (القسم الرئيس) من جيشه على سوريا ، يهدف من وراءه إلى : (التقدم إلى مناطق باشا بغداد وحدود فارس) وانه بادر إلى إرسال أوامره إلى مرزا مهدي بأن يسعى مجددا إلى أفناع الشاه بالوقوف ضد الفرنسيين وصد تقدمهم (٢٢) .

ب - بعثة مالكوم إلى مسقط وفارس :

لم تسفر بعثة مهدي علي خان إلى فارس ، فيما عدا التصريحات المؤيدة لبريطانيا ، عن شيء ذي قيمة في نظر الحاكم العام للهند ، ولهذا السبب من ناحية وما ورد إلى السلطات البريطانية من تقارير عن قيام زمان شاه بالتحضيرات لشن هجوم جديد على البنجاب ، والرغبة في إيقاف خطره نهائيا . من ناحية أخرى ، فقد ارتأى الحاكم العام إرسال سفارة كاملة إلى البلاط الفارسي ز ووقع اختياره على الكابتن جون مالكوم لرئاستها ، بدلا من مهدي علي خان الذي كلف مؤقتا بالاتصال بشاه فارس . وطلب ولزلي من حاكم بومباي إصدار أمره بسحب المبعوث السابق من مهمته في البلاط الفارسي وإعادته إلى بوشهر ليكون في استقبال مالكوم لدى وصوله هناك وليضع نفسه تحت تصرفه (٢٣) .

تلقى مالكوم تعليماته في ١٠ تشرين الأول ١٧٩٩ ، وكانت ذات شقين :

الأول: تخص فارس ، والثاني : يتعلق بمسقط .

فبالنسبة للشق الأول كان عليه أن يسعى للحصول على تأييد الشاه التام وتعاونه مع بريطانيا

من اجل تحقيق غايتين :

الأولى : إنهاء أي تهديد بالهجوم على البنجاب من قبل زمان شاه .

والثانية : الوقوف في وجه أي محاولة قد يقوم بها الفرنسيون للوصول إلى الهند عن طريق فارس والخليج العربي . ولخص مالكوم دوافع بعثته متعددة ومهمة ... لتخليص الهند من التهديد المستمر بغزوها من قبل زمان شاه ... لمجابهة المحاولات المحتملة لهؤلاء الأوغاد النشطون من الديمقراطيين الفرنسيين، ومحاولة إنعاش التجارة السابقة مع فارس، التي أصابها الكثير من التدهور .
أننا لوأخذنا بنظر الاعتبار طموح ولزلي وحذره اليقظ فان بإمكاننا أن نقول أن الفقرة الثانية ، (هي الهدف الرئيس من البعثة) (٢٤) .

منح ولزلي مالكوم كافة الصلاحيات التي تخوله عقد معاهدة مع شاه فارس لتحقيق تلك الأهداف مقابل أن تتلقى فارس معونة مالية سنوية تصل إلى ٤٠٠,٠٠٠ روبية (حوالي ٤٠,٠٠٠ باون)، لمدة ثلاث سنوات وهي التي قدرها لاستمرار المعاهدة وعند انتهائها يمكن تجديدها باختيار من الطرفين المتعاقدين ، أما بالنسبة إلى التهديد الفرنسي فان ولزلي لم يقدم لمالكوم تعليمات محددة وترك له أتباع الوسائل التي يرى أنها كفيلة بإقناع الشاه بان من مصلحته أن يعارضهم . وفي حالة قيام الفرنسيين بمحاولة للتقدم في آسيا فان القوة البحرية في الخليج ستدعم مقاومة الشاه لهم . وان السلطات البريطانية ستقدم للشاه معونة مالية شهرية اذا ما أسهم فعليا في المقاومة (٢٥) .

لم تغفل تعليمات الحاكم العام الجانب الاقتصادي فقد أمر مالكوم بان تشير إلى الشاه بالفوائد الجمة التي سيتم الحصول عليها من قيام تجارة حرة ومتطورة بين فارس والهند وفي حالة استجابة الشاه لهذا الأمر فان على المبعوث البريطاني أن يطلب منه الموافقة على عقد اتفاقية تجارية ذات طبيعة دائمية لا ترتبط بانقضاء اجل الاتفاقية السياسية التي حدد لها كما اشرنا ، ثلاث سنوات.

أما بالنسبة إلى الشق الثاني من التعليمات المتعلقة بعمان فقد كلف مالكوم بالتوجه إلى مسقط للاجتماع بسيد سلطان والتفاوض معه للتوصل إلى تأكيد موقفه بصورة نهائية من فرنسا ، وتطبيق شروط (الاتفاقية) المعقودة بينه وبين المبعوث السابق والتوصل إلى إزالة الشكوك التي ثارت حول موقف عمان من فرنسا . ذلك أن الانتصار الذي حققته الدبلوماسية البريطانية في أول دخولها ميدان الجزيرة العربية لم يكن كاملا كما بدا للوهلة الأولى. فخلال بضعة أشهر وصلت التقارير إلى الهند وكلها تشير إلى أن السلطان بدأ من جديد علاقات الصداقة مع أيل دي فرانس . وعززت الرسالة التي أرسلها بونايرت إلى سلطان بن احمد الثاني ١٧٩٩ ، والتي يعلن فيها ترحيبه بأية سفينة قد يرسلها إلى السويس ، الشكوك التي ثارت بالفعل قبل ذلك ، بان السلطان يخرق شروط الاتفاقية المعقودة مؤخرا (٢٦) . ولخص دنكان مواقف حاكم مسقط التي اعتبرت خرقا للاتفاقية ب :

استخدام رجال فرنسيين في خدمته .

•التصرف غير الودي الذي أبداه الوالي سلطان بن احمد في زنجبار تجاه الكومودور بلانكت ، لدى توقفه بأسطوله هناك للتزود بالموءن في رحلته من انكلترا إلى البحر الأحمر .

•التسهيلات التي قدمها في نقل هدايا السلطان إلى باباخان ، شاه فارس .

•شحن كميات من القمح غالى مورشيوس ، وتقديم معلومات الى العدو ، ومعاملته باهتمام .

وأخير ا انه استقبل في ٠ تشرين الثاني وكيلا فرنسا ، ذكر بأنه مكلف بانجاز عمل معين مع حكومة مسقط . وأكثر من كل ذلك ، اكتشاف السلطات البريطانية في البنغال في شهر نيسان ١٧٩٩ لمخطط يهدف إلى مقاومة التسلط البريطاني وتقويضه بمساعدة زمان شاه ، وظهر من التحقيق اشتراك شخصيات هندية على رأسها شمس الدولة نسيب النواب nabob ، إلى جانب عدد من الشخصيات العمانية البارزة من بينها الشيخ خلفان بن محمد ، وقد ثبت ذلك من المراسلات التي تمت مصادرتها ، وقد ضمن البريطانيون أسهام الفرنسي في ذلك المخطط (٢٧) . وقد دفع هذا الأمر حكومة بومبي إلى الطلب من الأميرال رانير بوجوب فرض الرقابة على ميناء مسقط لمراقبة النشاط المريب بين ذلك الميناء ومورشيوس والعمل على عرقلته . استجاب الاميرال لطلب دنكان ، فأمر الكابتن جون رو rowe . زقبطان البحرية الملكية (ترنكو مالي) المكلفة بأعمال الدورية في الخليج بتشديد الرقابة على سلطان مسقط . (على أن لا يشعر الأمام بعدم الثقة أو إثارة عدائه السافر للاتفاقية) . وعلى الكابتن أن يتصرف بحذر تجاه البحارة الفرنسيين الذين قد يجدهم في خدمة السفن العربية: (وان يبذل جهده لأبعادهم عنها بكل الوسائل على أن يتجنب ارتكاب أي عنف نحوهم، ألا اذا اضطر إلى ذلك. هذا الموقف من جانب عمان ، برز أمام السلطات في الهند فيما إذا (كان السلطان قد وافق على المعاهدة ، لسبب بسيط هو انه لم يكن ينوي تنفيذها) (٢٨) ؟

وتضمنت تعليمات مالكوم أيضا أن يعمل على تسويته الخلاف بين سلطان بن احمد وباشا بغداد ، ذلك النزاع الذي كان مصدرا للإرباك للسلطات البريطانية في الهند ، بالنظر للتحالف القائم بين بريطانيا والباب العالي . فكان عليه أن يشعر سلطان بان موقفه العدائي من باشا بغداد يتناقض مع (روح الاتفاقية) التي تنص على أن أصدقاء احدهم هم أصدقاء للآخر .

وصل مالكوم إلى بومباي في نهاية السنة ليجد أن رئاسة بومباي قد أعدت له تقريرا مفصلا عن التجارة مع فارس ، أوصت فيه ببقاء التجارة بين الهند وذلك القطر بشكل غالب ، كما كانت حتى ذلك الوقت ، في أيد التجار الفرديين وبقدر ما يتعلق الأمر بتجارة الشركة ، فليس هناك من دافع

للحصول على امتيازات جديدة . وعلى مالكوم أن يتبنى المشروع الذي قدم في فترات مختلفة في الماضي وأخرها من جانب مهدي علي خان للشاه بضرورة حصول الشركة على جزيرة قريبة من الساحل الفارسي للخليج لاتخاذها موقعا لإنشاء مركز (قد يصبح بمرور الوقت ، المركز التجاري لتجارة الخليج) (٢٩) .

في ٢٩ كانون الأول أبحرت الفرقاطة (بومباي) . وعلى متنها المبعوث البريطاني متوجه الى مسقط ، فوصلتها في ٨ كانون الثاني ١٨٠٠ . وحينما علم مالكوم أن سيد سلطان غائب في حملة بحرية قرر أن يتبادل وجهات النظر مع حاكم الميناء سيف بن محمد الذي كان على اطلاع واسع بالشؤون الهندية حيث سبق له أن زار بومباي ست عشرة زيارة (٣٠) .

وافضى مالكوم الى هذا الحاكم ومستشاريه بان بريطانيا في حرب لسنوات مع الفرنسيين : (الذين بتصرفاتهم الأخيرة في الداخل والخارج ، جعلوا أنفسهم مصدرا للربح والمقت لكل العالم المتمدن ، وأضاف بعبارات قوية ، أن البريطانيين قد تفوقوا على أولئك الأعداء مما مكنهم من هزيمتهم في الشرق وانتزاع كل ممتلكاتهم هناك فيما عدا مورشيسوس ، (وهي جزيرة غير منتجة وليست هدفا للفتح) وكيف أن الهولنديين قد فقدوا كل شيء تقريبا في آسيا فيما عدا باتافيا ، حيث أغلق عليهم بسبب خوفهم من الطرادات البريطانية ثم اخبرهم كيف هاجم الفرنسيون مصر ، جاعلين أنفسهم سادة السبل المؤدية إلى المدن المقدسة : مكة والمدينة (وكانوا دونما شك ، سيتجهون في امتلاكها لولا أن الله بإرادته ايد القوات البريطانية في ذلك القطاع) (٣١)!

وواصل مالكوم : (وببركة الله ، تكبد الفرنسيون هزائم ساحقة بحيث أن التعساء الباقين من جيشهم لايطمحون إلى أكثر من التراجع عن مصر بسلام) . ثم تكلم عن (الانتصارات العظيمة) التي حققها البريطانيون في ميسور وكيف أن (مكائد الفرنسيين والمخططات العدوانية قد تحطمت أمام حكمة رجال سياستنا وشجاعة جنودنا) .

ثم ركز بالحاح على امتداد السيطرة البريطانية في الهند التي عززتها لتدمير تيبو : (وباستثناء جزر سيلان وملقا وامبونيا فليس هناك ميناء من سورات إلى كلكتا يمكن للسفينة أن ترسو عنده بدون موافقة الانكليز) . وختم حديثه متسائلا بدهاء (ماذا ستؤول إليه تجارة مسقط إذا ما أغلقت كل موانئ شبه جزيرة الهند أمام سفن مسقط التجارية ، بدوريات قوة مهيمنة ؟) (٣٢) . وعلى مثل هذا السؤال (لم يكن الجواب ألا الإقرار بحقيقة أن رخاء مسقط الاقتصادية يعتمد على التأيد البريطاني) . وهذا ما كان جواب الحاكم وجواب السلطان بن احمد أيضا . وذلك أن مالكوم غادر ميناء مسقط متعبا الأخير ، واستطاع للحاق به في ١٧ كانون الثاني ١٨٠٠ ، في موقع بين قشم وهنجام ، حيث صعد إلى سفينته ولقي الترحيب والحفاوة . وقدم مالكوم للسلطان رسالة الحاكم العام

والهدايا التي جلبها له : (ساعة مطعمة بالماس ، ساعة حائط فضية ، خنجر ذهبيا ، بندقية ذات فوهتين ، مسدسين وناظورا ، كما قدم لولديه وهما صبيان في العاشرة والثامنة هدايا مناسبة) (٣٣). وعلى اثر ذلك كان لمالكوم حديث طويل مع سلطان مسقط بالأسلوب الذي حادث به المسؤولين في مسقط وبتشديد أكثر وخرج بالنتيجة ذاتها ونجد من الجدير أن نقتبس من كاتب سيرة حياة مالكوم بعض جوانب ذلك اللقاء :

(ثم تحدث مالكوم عن الأسف الذي أحسه الحاكم العام مما بدا من ميول الأمام الأخيرة لربط نفسه بالفرنسيين وعبر عن أمله بان يجده ألان مقتنعا بان السياسة الصائبة هي أن يدخل ويحافظ على الميثاق مع الحكومة البريطانية ذلك انه بهذا لا يخدم امن مسقط السياسي فحسب بل يؤمن الازدهار الاقتصادي للقطر الذي يحكمه . وللوصول إلى هذا الهدف عرض خدمات رجل انكليزي ذي مقدرة للإقامة في مسقط كوكيل لشركة الهند الشرقية . فتوقف مالكوم فسأله الأمام إذا كان هناك شيء اخر يطلبه ولما أجاب سلبا وضع العربي يده على رأسه ثم على صدره قائلا بأنه يوافق على عرضه من رأسه وقلبه وانه مستعد للتوقيع وضم الاتفاقية طي الحال كما انه مستعد بالحماس ذاته حتى إذا كان الشرط إقامة ألف رجل انكليزي بدلا من واحد في مسقط (٣٤) .

ومن الجدير بالذكر أن سلطان لم يستجب لعرض جوناثان دنكان الذي قدمه في سنة ١٧٩٨ بقبول خدمات جراح بريطاني يحل مكان طبيبه الفرنسي الخاص ولكنه مؤخرا وقبل وصول مالكوم أعرب عن رغبته في الحصول على خدمات جراح من بومباي بعد أن ابعده طبيبه الخاص . ولهذا تقرر أبقاء الجراح بوكل bogle في مسقط كطبيب للسلطان مكلف في نفس الوقت برعاية مصالح الشركة (٣٥) .

وتعزز ذلك الترتيب باتفاقية تمت صياغتها ووضعت في ١٨ كانون الثاني ١٨٠٠ ، أكدت مادتها الأولى على (الاتفاقية) ١٧٩٨ ، ونصت الثانية على أقامه سيد انكليزي نيابة عن الشركة في ميناء مسقط بشكل دائم ويكون وكيلا تجري عن طريقه جميع المعاملات بين الدولتين) . وتوجه مالكوم بعد نجاح مهمته في مسقط إلى بوشهر فوصلها في ١ شباط ، وكان عليه أن ينتظر لمدة أربعة أشهر بسبب الإجراءات الروتينية المعقدة لمقابلة شاه فارس .

وقد استغل مالكوم ذلك الوقت فقام بعدد من الدراسات عن الحالة السياسية والاقتصادية لفارس . ومن تحقيقاته اقتنع بصواب موقف سلطان بومباي في ترك التجارة بين فارس والهند في أيدي التجار الشخصيين محبذا فكرة الحصول على جزيرة قريبة من الساحل الفارسي لتكون مركزا مهما لأسباب سياسية أكثر منها تجارية . فالحملة الفرنسية على مصر كشفت بوضوح عن ضعف الإمبراطورية العثمانية وجعلت أي تقدم فرنسي نحو الهند عبر ممتلكاتها امرا محتملا كما أن حدوث تحرك روسي

من قزوين باتجاه الجنوب أمر وارد ولهذا فان امتلاك جزيرة كقاعدة سيساعد إلى حد ما ، مجابهة كلا الخطرين والى جانب ذلك فان القاعدة ستجذب التجار الفرس والأتراك الذين ينشدون الأمن لممارسة معاملاتهم التجارية وفي حالة ما إذا توترت العلاقات بين الحكومة البريطانية والباب العالي فان باشا بغداد قد يتخذ موقفا وديا من الجانب البريطاني لوجود تلك القاعدة القوية في الخليج (٣٦). فإذا أمكن تطويرها بصورة مناسبة حسب اعتقاده فإنها ستجذب إليها نصف التجارة المارة من خلال مسقط ويمكن أدارتها بواسطة مقيم يمنع من الاشتراك في أية تجارة شخصية وان توضع تحت أمرته قوة من خمسمائة من السيوي وطرادين من اجل الدفاع عن المستوطنة وتجارها ويمكن أن تسد تكاليف هذه القاعدة بفرض ضريبة تبلغ ٣% على كل المواد المستوردة وباختصار فان هذه الجزيرة ستعمل على تحقيق ثلاثة أهداف هامة في الخليج العربي متمثلة في المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية فمن ناحية اقتصادية ، سوف نعمل على أحياء أمجاد هرمز التجارية ومن الناحية السياسية ستتحول الجزيرة إلى مركز لتوظيف النفوذ البريطاني من أنحاء الخليج ، أما بالنسبة للهدف العسكري فان جزيرة قشم سوف تصبح مركزا إستراتيجيا للدفاع عن الهند وقاعدة متقدمة لميناء بومباي(٣٧) .

غادر مالكوم بوشهر في ٢٢ مايس ١٨٠٠ متوجها إلى أصفهان وبعد أن أمضى بعض الوقت في شيراز وصلها في ٢٣ أيلول ، حيث استقبل استقبالاً رائعاً ، فقد خرج ١٠,٠٠٠ فارس للحفاوة به ومرافقته الى المدينة .

وفي نهاية الشهر تقدم إلى طهران وبرز ماميز مسيرته عبر فارس أنها كانت في غاية الروعة . فقد امن مالكوم في وقت مبكر بان نجاح بعثته يعتمد على ماسيتركه من انطباع من قوة وثروة ورسوخ الشركة ، وعن نفسه كمبعوث لها .

ولهذا الغرض قام بتوزيع الهدايا بشكل مسرف مصرا على إضفاء درجة لائقة من التشريف والاحترام والتشدد بالشكليات التقليدية والبروتوكولية لأنها في رأيه ذات أهمية بالغة في نظر الفرس(٣٨).

الفصل الثالث

رحلة مالكولم الى طهران :

وصل ركب مالكولم إلى طهران في تشرين الثاني حيث أحيط بالتكريم البالغ وخرج لاستقباله كبار المسؤولين وعدة كتائب من فرسان الحرس الملكي لمرافقته الى داخل العاصمة . وانزل ضيفا في منزل رئيس الوزراء ، حاجي إبراهيم الذي عين لمرافقته (٣٩) . وفي يوم ١٦ منه ، جرى لقاءه مع الشاه الذي استقبله وهو جالس على (عرش الطاووس) مرتديا اروبا فاخرة مرصعة بجواهر يصعب وصفها ، قدرها مالكولم بمليون باون وفي المقابلة الثانية في ٢٧ منه ، قدم مالكولم هدايا الحاكم العام للشاه : ماسة كبيرة ، ساعات مرصعة بالجواهر ، علبا ذهبية مزخرفة ، مرايا كبيرة ، شالات ، بنادق مسدسات طعمت مقانصها ومواسيرها بالذهب والفضة ، وبعد أيام قلائل بدأت المفاوضات مع وزيرى الشاه الرئيسيين : حاجي إبراهيم ومرزا شفي .

في خلال السنة التي مرت مابين تكليف مالكولم ببعثته ، وبدء مفاوضاته في فارس، تغيرت الظروف بدرجة كبيرة بحيث بدأ الهدف السياسي من البعثة يصبح غير مناسب . فمركز زمان شاه في أفغانستان اخذ بالانهيار والخطر الفرنسي في الشرق اخذ بالتضاؤل وأصبح الجيش الفرنسي في حالة يرثى لها ، وكان على وشك أن تبعده عن مصر حملة بريطانية عسكرية (٤٠) .

لاحظ مالكولم تلك المتغيرات لهذا عقد نيته على جعل التوصل إلى معاهدة تجارية هي الغرض الظاهري لبعثته ويقليل من الصعوبة تمكن من تثبيت كل امتيازات الشركة السابقة وإضافة امتيازات جديدة منها تخفيض الضريبة السابقة على السلع المصدرة من ٤ إلى ١% ولكنه حين عرض مسألة التنازل عن جزر قشم وهنجام وخارج ، التي كلف بها بحسب تعليمات الحاكم العام ، والإذن بتحسينها ، واجه المصاعب والمعارضة الشديدة على الرغم من انه (حاول أن لا يظهر الاهتمام وكأن القضية عرضية) فقد تصلب الوزراء الفرس في معارضتهم لذلك الطلب وعبر مرزا شفي عن إدراكه لخطورة التنازل عن أية بقعة فارسية وذكر لمالكولم بأن حصول الشركة على دية جزيرة سيئبعه في وقت قصير الإخضاع التدريبي لأرجاء فارس الأخرى على غرار التوسع الذي حقته الشركة في الهند (٤١) .

وعليه وجد مالكولم نفسه مضطرا في وجه ذلك الإصرار إلى إسقاط ذلك الموضوع وتحول إلى مسألة عقد معاهدة سياسية وتم التوصل إلى مسودة معاهدة تعهد فيه الطرفان بعدم تقديم المساعدة والدعم إلى أعداء أي من الطرفين وتعهد الشاه بأن لا يعقد صلحا مع زمان شاه طالما كان يهدد الهند ، وفي حالة قيام الحاكم الأفغاني بأي هجوم جديد على الهند فانه سيهاجم ممتلكاته (بجيش يطيح بالجيال) وبالمقابل تعهد مالكولم بقيام الحكومة البريطانية بمساعدة فارس بالسلاح (بأقصى ما تستطيعه) في أي وقت تتعرض فيه فارس

إلى هجوم أفغاني أما فيما يتعلق بالفرنسيين فقد وافق الشاه على التعاون مع القوة البحرية البريطانية في مقاومة أي ظهور لقوة عسكرية فرنسية في الخليج العربي وتعهد بان يقود بنفسه أو يرسل جيشا لطردهم منه (٤٢). ووعد مالكوم من جانبه بأن تقوم الحكومة البريطانية بتزويد الجيش الفارسي بالسلاح إذا ماهاجم الفرنسيون فارس . وفي كلا الحالتين لم يشر مالكوم إلى تقديم المساعدة المالية حيث رأى من غير الضروري في مثل تلك الظروف أن يشير إليها . كما أن مالكوم تجنب بعناية إعطاء أية ضمانات محددة بدعم فارس في حالة نشوب نزاع مع روسيا وبدلا عنها وعد بكلمات عامة بأنه (من الطبيعي أن بريطانيا العظمى لن تسمح بتعريض حليفاتها فارس للنهب) . وأكد الشاه موقفه بالتزام الجانب البريطاني بإصداره فرمانا في ١ كانون الثاني ١٨٠١ منع بموجبه الفرنسيين من (وضع أقدامهم على الساحل الفارسي من الخليج تحت طائلة الموت) (٤٣).

وفي ٢٨ كانون الثاني م التوقيع على المعاهدتين التجارية والسياسية . وغادر مالكوم طهران مباشرة بعد ذلك وكانت مغادرته السريعة تلك حسب تعبيره : (الطريقة الوحيدة التي بقيت لي من أجل الإسراع في إنهاء مفاوضات تصبح في في كل لحظة أكثر صعوبة) .

وكانت ستمتد الو وقت غير محدد بسبب روح المكابدة للوزراء الفرس وكان الانطباع الذي خرج به من طهران وهو القلق المتزايد للشاه من التهديد الروسي لحدوده الشمالية . فقد خسرت فارس جورجيا على اثر الغزو الروسي في سنة ١٧٩٦ ، وكاد الموقف أن يكون أكثر سوءا لولا وفاة الإمبراطورة كاترين في تشرين الثاني من تلك السنة . مما أدى إلى ترك التوسع الروسي مؤقت (٤٤) . وأسفرت محاولات الشاه لاسترجاع جورجيا عن الفشل وكان اشد ما يقلق لشاه عودة روسيا إلى سياستها التوسعية على حساب الأراضي الفارسية ومما لاشك فيه أن من أهم نجاح مالكوم في فارس تلهف البلاط الفارسي لتأسيس علاقات ودية في أية قوة قد تساعد في إيقاف الأطماع الروسية في برده . أما بالنسبة إلى مالكوم فأن الشيء المقلق الذي يحمله التغلغل الروسي في آسيا كما عبر عن ذلك في رسالته إلى اللورد الجين السفير البريطاني في القسطنطينية في ٢٣ مارس : (هو التهديد الذي سيمثله يوما ما للحكم البريطاني في الهند) .

سلك مالكوم في طريق عودته طريق بغداد وكان يحمل رسالة من الحاكم العام لباشا بغداد ، وفي ١٥ مارس عبر الحدود حيث (لقي أقصى درجات الحفاوة في طريق تقدمه وأصر الباشا على أن تتحمل الدولة نفقات البعثة مما يدل على نيته في أن يتقبل بسرور حلفا مع البريطانيين) . وفي لقائه بسليمان باشا قدم إليه الهدايا وحصل منه على وعد ببذل الاستعدادات للوقوف بوجه أي غزو فرنسي (٤٥) .

ويرجع جانب كبير من الاهتمام والترحيب الذي لقيه مالكولم من قبل باشا بغداد إلى جهود جونز. وبعد تلك الزيارة القصيرة لبغداد غادرها إلى البصرة في سفينته أعدها الباشا انحدرت به في نهر دجلة حيث وصل البصرة في ٨ نيسان ، ومنها غادر إلى بومباي على متن السفينة (كوفرر دنكان) في ١٤ منه.

وصل مالكولم بومباي في ١٨ مايس ١٨٠١ ، بعد ثمانية وعشرين شهرا من مغادرته لها وحظيت اجراءاته في فارس بالموافقة الكاملة من ولزي ، بالرغم من عدم تقيد بحرفية التعليمات الموجهة إليه وبخاصة فيما يتعلق بالمعاهدة السياسية التي وضعت بدون مدة محددة بدلا من ثلاث سنوات المقررة في الأصل . وفوجئ الحاكم العام إلى حد ما بتكاليف البعثة التي ضمنتها اغلب التقديرات بحوالي مليون روبية (حوالي ١٠٠,٠٠٠ باون) ، ولكنه دافع عنها أمام اللجنة السرية على أساس ما حققه مالكولم من نجاح . فقد تم تأسيس اتصال وثيق مع فارس ولامتميازات قيمة ثم تأمينها في المعاهدة التجارية (التي أعطت الحكومة البريطانية عمليا الاستعمال غير المفيد للموانئ الفارسية والهيمنة الكلية على الساحل الشرقي من الخليج العربي)(٤٦) .

جاءت حروب الثورة الفرنسية إلى نهايتها في ١٨٠٢ ، بفوائد بارزة للبريطانيين في الشرق فتحت حوافز الخوف الذي سببته مخططات بوناپرت الشرقية ، نجحت بريطانيا في خلال ثلاث سنوات من نشاط سياسي وعسكري لايلين (١٧٩٨-١٨٠١) في توسيع سيطرتها على الهند ومد نفوذها الى الخليج العربي والبحر الأحمر ولدى حكام طهران وبغداد ومسقط منهيبة بذلك مايحتمل من تهديد فرنسي للهند وفي الوقت ذاته قامت بريطانيا بمحاولات مركزة ضد الجيش الفرنسي المعزول في مصر من جهتين : البحر المتوسط والبحر الأحمر . ففي ٦ شباط ١٨٠١ وصلت الرسائل الرسمية من لندن إلى كلكتا معلنة عن تحرك حملة الجنرال ابركرمي إلى مصر ، مطالبة الحاكم العام بإرسال حملة عسكرية مساعدة من الهند . وعلى الأثر تقدمت القوة البريطانية من الهند بقيادة الجنرال بيرد BAIRD ، وبعد ان سيطرت على مصر والسويس وأملت زحفها مع مجرى النيل باتجاه القاهرة فوصلتها في ١٠ آب ، بعد ستة أسابيع من استسلامها لهتشنسن الذي خلف ابركرمي في القيادة ولكن في وقت مناسب للضغط على قائد القوات الفرنسية ، الجنرال مينو MENON الذي لم يعد بمقدوره المقاومة في الإسكندرية فأستسلم في ٣ أيلول ١٨٠١ . الخاتمة:من السنة التالية ويسبب ما تعرض له الطرفان من أنهاك وخسائر ، تم التوصل إلى معاهدة للصلح بين بريطانيا وفرنسا في أميان ، ومع انه كان صلحا قصير الأمد ألا انه شكل نهاية للمرحلة الأولى من الصراع بين الطرفين ، ألا أن ذلك الصراع لم يلبث أن تجدد بشكل أكثر نشاطا ، وامتد ليشمل مناطق واسعة وكان الخليج العربي احد مسارحه (٤٧).

ومن خلال ما تقدم يمكن أيجاز أهم الدلالات التاريخية والسياسية بالمحاور التالية.

_ أن منطقة الخليج العربي وعلى ما تكتنز من موارد طبيعية وما تمتلك من موقع جغرافي مهم جعلها ومنذ قرون خلت محط انظار وصراع الدول الاستعمارية المختلفة من اجل الاستحواذ على خيراتها واستغلال موقعها الجغرافي وثروتها على حد سواء وهو الواقع الذي يفسر لنا بالملمس سر تكالب عديد الدول الاستعمارية على غزوها بين الحين والآخر .

_ على ضوء المجريات وما تم الاطلاع عليه من حقائق تاريخية ملموسة في ثيمة هذا البحث يتضح بجلاء أن العقلية البريطانية السياسية هي الانجح في قراءة المساحة السياسية التي أمامها بحرنة وإستراتيجية عالية المستوى ووفق مديات زمنية موعلة في العمق الزمني كما أنها الانجح أيضا في الوصول إلى تحقيق كامل أهدافها وان طال الزمن من منطلق حكمة انجليزية مفادها (تأتي متأخرة خيرا من أن لاتاتي أبدا) وهو الواقع الذي يفسر لنا بالدلالة الميدانية كيف أنها استغلت الفراغ السياسي والتجاري الذي تركه الهولنديون في منطقة الخليج العربي محققة أيما نجاح في منطقة الخليج العربي والحصول على مبتغياتها السياسية الصعبة برغم وجود المارد العثماني القوي يوم ذاك وكيف أنهم تمكنوا بدهاء سياسي عالي المستوى من سحب وربط عجلة السياسة العثمانية بعجلة الاقتصاد والسياسة البريطانية مع مر الأيام.

_ نجاح السلك الدبلوماسي والسياسي الانجليزي في التعاطي مع شعوب المنطقة العربية وبخاصة قبائل منطقة الخليج العربي باحتراف سياسي الناجح والمستثمر الاقتصادي الحقيقي حيث منحت إياهم حرية الدين والرئاسة العشائرية ومركزة بالدرجة الأصل على العامل السياسي

_ الإدارة البريطانية كانت بارعة للغاية في اختيار رجالها الاستخباريين والسياسيين الذين كانت ترسلهم الى المنطقة العربية وهو ما يفسر لنا بوضوح سر النجاحات السياسية والاقتصادية المتلاحقة والسريعة التي حققتها الحكومة البريطانية في منطقة الخليج العربي برغم وجود أكثر من اري متربص في هذه المنطقة الحيوية من العالم .

_ اعتماد الإدارة البريطانية في عملها السياسي على اللوجستية الاستخبارية والمعلوماتية العالية المستوى عن جميع الشعوب في العالم إلي تنوي التعاطي معها بمعنى أنها كانت تعمل على إرسال خبراء استخباريين بهيئات مختلفة أطباء كانوا أم خبراء أثار لجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات المطلوبة عن الشعوب المستهدفة لان في ذلك ثابتة في غاية الأهمية ألا وهي تسهيل مهمة الحكومة البريطانية من جهة ووضع الحلول الناجحة التي تسهل نجاح السياسة البريطانية مع هذه الشعوب من جهة أخرى.

ر العربية والأجنبية:

- عبد الفتاح إبراهيم - الطريق إلى الهند، بغداد،
- كامل المشهداني ، حقائق عن الجنوب العربي ونضال عدن .
- . . . كيلي ،العلاقات العمانية - البريطانية -
- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم - بريطانيا وأمارات السا
- عبد الأمير محمد، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن التاسع عشر،
- . صالح زكي ، العراق وبريطانيا حتى عام ، دراسة في التاريخ التوسعي
- . صالح العابد ، دور القواسم في الخليج العربي - ، بغداد،
- . صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة .
- المصدر نفسه .
- . مصطفى عبد القادر ، التاريخ السياسي وعلاقات العراق الدولية في الخليج
- المصدر نفسه .
- علاء موسى زكي ، حكم المماليك -
- المصدر نفسه .
- . عبد الامير محمد أمين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي في القرنين
- - وأثرهما على الخليج العربي .
- المصدر نفسه .
- . عبد الأمير محمد أمين ،أضواء على تاريخ الخليج العربي الحديث .
- ر نفسه .
- . جمال زكريا قاسم ، الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي ،
- المصدر نفسه .
- .
- . صبري فارس ، دراسة في الجغرافية السياسية في الخليج العربي
- المصدر نفسه .
- . سيد نوفل ، الخليج العربي الحدود الشرقية للوطن العربي ، بيروت ،
- جان جاك ، الخليج العربي ، ترجمة نجدة هاجر، بيروت ،
- المصدر نفسه .
- عبد القادر زلوم ، عمان و الإمارات السبع ، بيروت ،
- المصدر نفسه .
- احمد عبد المحسن العدساني ، العراق والأطماع البريطانية ، أطروحة دكتوراه ،
- جامعة الكويت ،
- المصدر نفسه .

- علية عبد المنعم درويش ، تاريخ دخول بريطانيا في البصرة ، رسالة ماجستير ، جامعة الكويت ،
المصدر نفسه . .
- جاسم نيهان العدساني ، التجارة البريطانية في بندر عباس في القرن التاسع عشر ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكويت ،
المصدر نفسه . .
- خالد احمد المطيري ، السياسة البريطانية في الخليج العربي في القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين ، رسالة ماجستير ، جامعة الكويت ،

Munier.J.:La - - Paris Egypt lacroix Desire :Bonaparte en-
Perivier, A. :Napoleon - .Le Cairo,1930 (-)Egypt Presse en
Journaliste, Paris, 1918

.Reynier, J .De I Egypte après La Bataille d Heliopolis, Paris, 1802 -
depuis le Depart de Bona ba Egypt Rousseau,M.F. klabir et menou en-
rte , Paris.1900

Reubaud , L. et autres(Redasteurs:L'Histoire Scientifiqui et Militaire de -
.- Paris (l'Expedition Francaise en Egypte(10 volumes
Turs Nisolas: Chronique d'Egypte (1980-1804),edite et traduit , par -
.Gaston Wiet ,Le Ceire, 1950

Weill, Georges : Le Journal, Origanes, Evolution et Role de la Presse -
.Periodique , Paris,1934

Bertrand (General) : Campagne de Napole'on distes Par lui-meme-a--
. Paris Sainte- Helene

.(Fauvelet de: Memoires sur Napoleon (1795-1814 .L.A Bourrienne-

. - Paris t.II-

British Policy in the Arabic Gulf Region

1792 _ 1820

THE RESEARCHER

FARIS IBRAHEM AL-KATIB

MASTER RESEARCHS DEGREE IN MODERN HISTORY

ARABIC HISTORY INSTITUTE AND PRACTICLE

HEIRATA

ABSTRACT:

This research is a review or a demonstration for the primary British military invasion in the Arabic gulf region specially after the reduce of the Dutch control in that remarkable important trading region, so there was no doubt that a foreign force shall be arose in that region to take the Dutch position which was in control for more than a century, so the French arouses with their napoleons imperial point of view and the British with their remarkable economist strategic horizon to struggle and fight each other for a piece of the gulf region with all its bounties.

Both of them (the French and the British) was doing their best to enter that vital region according to two mechanisms: the first one is to use their military forces and the second is to compromise politically or financially with the leaders of the Arab

In the first chapter of this research we showed the primary stages of the British invasion in the Arabic gulf and their struggle against the French Armada to force their military presence within that region.

In the second chapter we had studied the nature of the British invasion of Persia taking advantage of the financial and political

Conditions at that important era.

The third chapter sought in the British invasion of Iraq especially the vital port of al-basrah then the gradual approaching Baghdad

The center of Ottoman government in Iraq back then.

The Researcher- FarisIbrahim Al-katib

Master researchs in Modern History

Epilogue:

In the current research we can summarize the most important historical and political landmarks into:

1.the Arab gulf region with all its nature resources and the strategic geographic position make it in the sight of multiple imperial nations those as a pray for their greedy nature those struggled and fight to poses it's bounties and take advantage of its strategic position and fortunes for centuries, that's the fact that demonstrate the competition of among those nations to invade it along the time.

2.in the spotlight of what been demonstrated and reviewed of the historical facts in the theme of this research we can clearly see that the British political mind is the most successful one in reading the political area with high level of efficiency according to long ranges of planning time tables, they are the most successful of all to achieve and accomplish all their goals no matter how much time it may takes like the English saying "it's better late than never) that fact demonstrate for us how the British took advantage of the political and commercial gap left the Dutch in the region which was

the secret of their success to achieve their hard political goals in spite of the presence of the Ottoman giant and how they use their keen political sense to achieve those goals and.

3. The successes of the diplomatic corps in dealing with the region public especially the Arabic tribes with the successful politician proficiency and the real investor, they gave them the liberty to choose and practice their religion and tribe leadership, their focus was on the political and financial factors.

4. The management was very skillful when it comes to choose their intelligence agents and politicians those been sent to the Arabic region that is the secret of their set of fast and followed up political and financial successes of the British government in the Arabic gulf region in spite of all the imperial competitors in that vital region.

5. The British management was depending in its political work on the intelligence logistic and high level of information gathered from all the countries they intend to deal with, they were sending multiple kinds of specialists in all professions like doctors or relics experts to gather to collect as much as possible of needed information about those countries or people, that has remarkable importance to ease the mission of the British government in one hand and to put the successful solutions to deal with the people of those countries on the other.

Arabic and Foreign References:

- Abdulfatah Ibrahim-the way to India. Baghdad 1935.
- Kamil Al-mishhadany, facts of the south and edin struggle.
- John B. Kelly, Omani- British Affairs, 1798 -1856.
- Abdul Azeez Abdughany Ibrahim-Britain and Arabic shores Emirates.
- Dr. Abdulameer Mohammed seal forces in Arabic Gulf in 19th Century. Baghdad, 1966.
- Dr. Salih Zaki, Iraq and Britain until 1914, a research in the imperial history, 1967.
- Dr. Salih Al-abid, AL-qawasim's Rule in the Arabic Gulf, 1747-1820, Baghdad 1967.
- Dr. Salah Al-aqad, political waves in the Arabic Gulf, Cairo
- Same Reference.
- Dr. Mustafa Abdulqadir, political history and Iraqi International relations in Arabic Gulf.
- Same Reference.
- Alaa Mousa Zaki, Mamluks role in Iraq, 1750-1831, Baghdad, 1978.
- Same Reference.
- Dr. Abdulameer Mohammed Ameen, British advantages in Arabic Gulf in the 17th and 18th

- Same Reference
- Dr. Abdulameer Mohammed Ameen, spotlights on modern Arabic Gulf History.
- Same Reference.
- Dr. Jamal Zakariya Qassim, Iranian claims in the Arabic Gulf 1973.
- Same Reference
- Alaa Mousa Kadhim, Ottoman- Persian struggle and its effect on Iraq in the 18th century.
- Same Reference.
- Sabri Faris, a study in the political geography in the Arabic Gulf, Baghdad 1976.
- Same Reference.
- Dr. Sayed Nawfal, the Arabic Gulf, the eastern boarder of Arab homeland, Beirut, 1969.
- Jan Jack, Arabic gulf, translated by Najda Hajir, Beirut, 1959.
- Same Reference.
- Abdulqadir Zaloum, Oman and the seven Emirates Beirut, 1993.
- Same Reference.
- Ahmed Abdulmuhsin Al-adsaney, Iraq and British Greed, phd. Al-kwait University, 1997.
- Same Reference.
- Alia Abdulmonem Darwish, history of British invasion of Basrah, Masters Research, Al-kwait University, 1982.
- Same Reference.
- Jasim Nabhan Al-adsaney, British Trade in Bander Abbas the nineteenth century, PhD, Al-kwait University, 1983.

- Same Reference.
- Khalid Ahmed Al-motairi, British Policy in the Arab Gulf the 19th century until the 20th century, Masters research, Al-kwait University, 1988.
- -IacroixDesire: Bonaparte en Egypt, Paris,1899-197136-Munier.J.:La Presse en Egypt(1799-1900),Le Cairo,1930.37 -Perivier, A. :Napoleon Journaliste, Paris, 1918.38
- Reynier, J. De l'Egypte après La Bataille d Heliopolis, Paris, 1802.
- Rousseau, M.F. klabir ET menou en, Egypt depuis le Depart de Bona barte, Paris.1900.
- Reubaud , L. et autres (Redasteurs:L'HistoireScientifique et Militaire de l'ExpedionFrancaise en Egypt (10 volumes) Paris, 1830 -63
- Turs Nisolas: Chronique d'Egypte (1780-1804),edite et traduit , par Gaston Wiet ,Le Ceire, 1950.
- Weill, Georges: Le Journal, Origanes, Evolution et Role de la PressePeriodique, Paris, 1934.
- Bertrand (General):Campagne de Napole'ondistes Par lui-meme-a-Sainte-Helene, Paris, 1847.
- 46-Bourrienne, L.A., Fauvelet de: Memoires surNapoleon (1795-1814).
- -t.II,Paris, 1828-30